الحدادية باختصار

الدكتور
عبد العزيز بن ريس الريس
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

فهرس

مقدمة المؤلف ١

(الكلمـة الأولـى) ٢

أصـل الحداديـة يرجـع إلى أمـور ٢

(١) الغلو في التبديع ٣

(٢) لا يراعون المصالح والمفاسد في باب التبديع ٤

(٣) الطعن في علماء السنة المعاصرين ٥

(٤) الغلو في مسألة العذر بالجهل في الشرك الأكبر ٥

أمثلة لبعض رؤوس الحدادية ١٠

الأول/ عبد الرحمن الحجي ١٠

الثاني/ د. عبد الله الجربوع ١٢

الثالث/ أحمد الحازمي ١٤

الرابع/ (...) ١٧

خاتمة الكلمة الأولى ١٨

(الكلمـة الثـانية) ٢٠

سؤال: إذا احتملت المخالف في العقيدة فيلزمك احتمال من أغلظ عليهم وعقيدته سليمة ٢٠

فرق بين من ألّف في العلم وبين من ألّف في البدعة ٢٠

أصنـاف الحداديـة ٢٢

(١) حدادية الغلو في الجهل ٢٢

(٢) حدادية الغلو في التبديع ٢٣

(٣) خليط بين حدادية محمود الحداد والسرورية ٢٤

فهرس المراجع والمصادر ٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أما بعد:

فهاتان كلمتان عن فرقة الحدادية قد جمعتها في رسالة واحدة؛ لينتفع بها، ولأن في كل كلمة ما ليس في الأخرى، فيكمل بعضها بعضًا.

وقد فرّغت ووثّقت فراجعتها لتنشر ويعم النفع بها بفضل الله وكرمه.

وقد أسميتها: (**الحدادية باختصار**)

أسأل الله أن يتقبلها ويجعلها سبيلًا لرضاه، وأسأله أن ينفع بها إخواننا.

د. عبد العزيز بن ريس الريس

١ / ١١ / ١٤٤٧هـ

(الكلمة الأولى)

فإننا ولله الحمد نشهد إقبالًا كبيرًا مفرحًا ومبهجًا للنفس من العامة كبارًا وصغارًا على الدعوة السلفية، التي هي دعوة النبيّ ﷺ وصحابته الكرام، والتي جدّدها الإمامان محمّد بن عبد الوهاب ومحمّد بن سعود، وقامت عليها الدولة السعوديّة الأولى والثانية والثالثة، وإلى اليوم -ولله الحمد- الدولة السعودية قائمة على الدعوة السلفية، فلا يُعبد ولا يُدعى إلا الله عز وجل.

وبعد أن وفّق الله ولاتنا وكفونا شرّ رؤوس الحزبيين وأسكتوهم، وأصبحوا ما بين سجين أو ساكت لا يتكلّم، إلى غير ذلك، وعلى إثر ذلك ضعفت الدعوة إلى الحزبيّة والتلبيس على الناس، وارتفع صوت الحقّ، وبدأ الناس يسمعون بالدعوة السلفيّة، ولا يُمكَّن إلا دعاة التوحيد والسنة، ولا يدرّس في المدارس النظاميّة من المواد الشرعية إلا التوحيد والسنّة، دون المناهج الصوفيّة والرافضية والحزبيّة وغيرها.

وقد كثرت الأسئلة مؤخرًا عن الحدّادية، وما المراد بها، وسأذكر فيما يلي أهم ما يتعلق بالحدادية مع الإشارة إلى بعض رموزها.

أصل الحدّادية:

الحدادية نسبة إلى رجل اسمه محمود الحدّاد، واشتهر بكنيته: أبو عبد الله الحدّاد، وله تحقيقات هو وزوجته، منها تحقيق كتاب (إحياء علوم الدين) وغيره.

وعاش في السعودية وتحديدًا في الرياض، ثمّ استقرّ به الحال في المدينة، ثمّ ظهرت فتنته، وقام العلماء بالردّ على فتنته تارة باسمه، وتارة بالردّ على أصول دعوته، ثم أُبعد من السعوديّة -ولله الحمد- وهو الآن في مصر، وفي علمي لا زال يعمل لكن ليس له وجود يذكر، وهذا من رحمة الله وفضله.

وأصل بدعة وضلال الحدّادية يرجع لما يلي:

الأمر الأول: الغلوّ في التبديع.

فهم شبيهون بالخوارج، إلا أنّ الخوارج في التكفير، وهم في التبديع، ويبدّعون بالجزئيّات ويبالغون في ذلك، وهذا خلاف إجماع السلف، فإنّ السلف لم يبدّعوا بكلّ الجزئيّات.

فأئمّة السنّة لم يبدّعوا القاضي شريحًا لمّا أوّل صفة العجب وأنكر قراءة: ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ [الصافات: ١٢] قال الإمام ابن تيمية: **"وكان القاضي شريح ينكر قراءة من قرأ: {بل عجبتُ} ويقول: إن الله لا يعجَب؛ فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: "إنما شريح شاعر يعجبه علمه، كان عبد الله أفقه منه فكان يقول: {بل عجبتُ}". فهذا قد أنكر قراءةً ثابتةً وأنكر صفةً دلَّ عليها الكتاب والسنة، واتفقت الأمة على أنه إمامٌ من الأئمة"** [(١)].

وأيضًا لم يُبدِّع أئمّة السنة ابن خزيمة، مع أنه أوَّلَ حديثَ الصورة وخالف إجماع السلف كما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في (كتاب بيان تلبيس الجهميّة) [(٢)]، بل عدّوه إمام الأئمّة، وهذا اللقب أطلق على جماعة وممّن اشتهر به ابن خزيمة.

بل ذكر ابن تيمية رسالة عن محمد بن عبد الله الكرجيّ فيها الدفاع عن ابن خزيمة [(٣)]، وذكر رسالة عن أحمد القصّاب [(٤)] لمّا قال: إنّ عذاب القبر لا يدوم. فهو لا ينكر عذاب القبر، لكن ينكر دوام عذاب القبر، وهاتان المسألتان جزئيّتان لم يشتهر الخلاف فيهما بين أهل السنّة وأهل البدعة، لذلك لم يُبدع السلف بها.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٩٢).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٩٨) وما بعده.

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٠٤)، (٦/ ٣٩٨).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٠٦).

فالتبديع ضاع بين غلو الحدادية وجفاء الحزبيّين -وللأسف وافقهم بعض السلفيّين المميعة- وهذا كما قال الأوزاعيّ: **" ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر، إما غلوًّا فيه وإما تقصيرًا عنه"** [١].

الأمر الثاني: لا يراعون المصالح والمفاسد في باب التبديع.

الحدادية يُشهرون التبديع دون نظر للمصالح والمفاسد، والدين قائم على جلب المصالح وتكميلها ودفع المفاسد وتقليلها، وقد تقتضي المصلحة ألّا يشهَّر بتبديع مبتدع لأنّ إشهار ذلك يضرّ أكثر ممّا ينفع.

وقد بيّن ابن تيميّة أنّ هجر المبتدع يرجع إلى المصالح والمفاسد كغيره من أبواب الدين، ذكر هذا كما في المجلّد الثامن والعشرين (مجموع الفتاوى) [٢]، وذكره العلّامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن كما في (الدرر السنيّة)[٣] والعلامة محمد بن عبداللطيف كما في (الدرر السنية) [٤].

وذكر ابن تيميّة [٥] عن الإمام أحمد وغيره أنهم فرقوا في هجر أهل البدع بين مكان تظهر فيه السنة ومكان ليس كذلك كخرسان.

---

(١) حلية الأولياء (٨ / ٢٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٠-٢١٢). ومما قال: «فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعي الهجرتين: بين القادر والعاجز وبين قلة نوع الظالم المبتدع وكثرته **وقوته وضعفه**».

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧/ ٢٢٥) (٨/ ٣٥٨).

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٨٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٦، ٢١٢).

الأمر الثالث: الطعن في علماء السنة المعاصرين.

وهذا أصل عند الحدّاديّة تفرَّع عن الأمرين السابقين، ومما ترتب على عدم مراعاتهم للمصالح والمفاسد أنهم لمّا رأوا علماء السنّة لا يوافقونهم في التبديع -لأنّ تأصيلهم خطأ في التبديع- ووجد الحدادية كلمات للسلف تؤيّد ما يقولون -في ظنهم- فبسبب ذلك طعنوا في علماء السنّة المعاصرين، والأشخاص لا يوافقهم العلماء لأنّ تأصيلهم خطأ، وبعضهم قد يوافقونهم في التأصيل لكن لا يوافقونهم في إظهار وإشهار التبديع نظرًا للمصالح والمفاسد، فلم يحتملوا هذين الأمرين من أئمّة وعلماء السنّة فطعنوا فيهم.

واشتهر الحدادية بالطعن في العلّامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثمّ في الطعن في الشيخ ابن عثيمين، ثمّ الطعن في الشيخ ابن باز، وهم يتفاوتون في هذا ما بين مستقل ومستكثر، ومنهم من يطعن في الشيخ صالح الفوزان، ومنهم من يطعن في علمائنا كلّهم، ولهم في هذا قصص عجيبة تذهل منها غاية الذهول، وكيف أنّ الشيطان أتاهم من هذا الباب.

الأمر الرابع: الغلو في مسألة العذر بالجهل في الشرك الأكبر.

هناك فرق بين أن تتبنّى عدم العذر بالجهل في الشرك الأكبر لغير المفرّط، أمّا المفرّط فليس معذورًا، فهذا أحد القولين في المسألة وأنت فيه ما بين أجر أو أجرين، وقد بسطت هذا في مواضع فمن شاء يرجع إليها، منها في شرح رسالة (مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد) لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي منشورة في اليوتيوب وغيره، وفي شرحي على (نواقض الإسلام) وغير ذلك.

ومن أوضح العلماء تقريرًا لمسألة العذر بالجهل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكلامه كثير في ذلك، ومن كلماته في كتاب (الردّ على البكري) قوله: **" ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن يكون الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم،**

أن لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم" [١]، فهو يخاطب أهل العلم! ومع ذلك عذر في هذه المسائل، وقد جمعت ما يسّر الله من نقولات عن العلماء الماضين وأئمة الدعوة، إلى علمائنا المعاصرين، في مقال بعنوان (جوابي على بعض الفضلاء في وصفه لي ولكتاب الإلمام بالإرجاء)، وهو موجود في موقع (الإسلام العتيق) [٢].

والحدادية أهل غلوّ في هذه المسألة، يوالون ويعادون عليها، بل بلغ الغلو ببعضهم إلى تكفير من يعذر بالجهل! وسيأتي الكلام عليهم.

وعلماؤنا المعاصرون مختلفون في مسألة العذر بالجهل في الشرك الأكبر، منهم من يعذر ومنهم من لا يعذر، وقد تكلم في العذر بالجهل غير واحد من علمائنا المعاصرين، كالشيخ العلّامة محمّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاواه في أكثر من موضع [٣]، والشيخ عبد الرزاق عفيفي في فتاواه [٤]، والشيخ محمد أمان الجامي في مواضع منها (إجابة أسئلة الكويتيين) [٥]، والعلامة الألباني في مواضع كثيرة [٦]، وغيرهم.

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (ص ٢٥٣). وذكرا نحوا منه في: بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٠).

(٢) مقال: جوابي لبعض الفضلاء عن وصفهم لي ولكتابي الإلمام بالإرجاء:
https://www.islamancient.com/?p=٢٠٩٢٥

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٣٠).

(٤) «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة» (ص٣٧١).

(٥) قرة عيون السلفية بالأجوبة الجامية (ص ١٢٠) تقديم الشيخ صالح السحيمي.

(٦) جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة = موسوعة العقيدة (٥/ ٧٤٥).

ومما ذكر العلامة ابن عثيمين أن الخلاف في مسألة العذر بالجهل كالخلاف في المسائل الفقهيّة[١]، وأن فيها قولين، وممّن ذكر أنّ في المسألة قولين: العلّامة مقبل الوادعي -رحمه الله تعالى[٢]-.

وفي المقابل من علمائنا من لا يعذر بالجهل، كالشيخ العلّامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]، وقد مرّ بمراحل: مرّة عذر، ثم لم يعذر، إلى أن استقرّ قوله على عدم العذر بالجهل، بل قدّم رسالة لرجل مصري وهو السيد غباشي في العذر بالجهل، فله أكثر من قول، والذي اشتهر عنه أنّه لا يعذر بالجهل، وكذلك شيخنا العلّامة صالح الفوزان[٤]، له أكثر من فتوى لا يعذر بالجهل.

ولو تأمّلت تجد أن علماءنا لم يبدّع بعضهم بعضًا لأجل الاختلاف في هذه المسألة، فضلًا عن أن يكفّر بعضهم بعضًا، وقد حاول بعض غلاة الحدّاديّة أن يستدل بفتوى للجنة الدائمة في التكفير بمسألة العذر بالجهل، وبنى عليها الشواهق الكبار وجعلها أصلًا وترك الفتاوى الكثيرة التي فيها تارة العذر وتارة عدم العذر، وكذلك ترك صنيع العلماء العمليّ، فكان العلّامة ابن باز يعذر سابقًا ثم ترك العذر، وهو محبّ ومجلّ للعلّامة ابن عثيمين وقدّم له رسائل، ومجلّ للعلّامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وللعلّامة محمّد أمان الجامي، وغيرهم، فلم يبدّعهم العلامة ابن باز فضلًا عن أن يكفّرهم.

أما الفتاوى التي فيها تكفير من يعذر بالجهل ففيها توهّم ممن يستدل بها، أو حتى لو كانت صريحة في تكفيره فقد يكون لها سابق ولاحق، أو فُهمت على غير بابها، لا سيّما

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٣٠).

(٢) كتاب غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطه (٢/ ٤٤٧ - ٤٤٨).

(٣) الفوائد العلمية من الدروس البازية (٢/ ٤٩ - ٥٠)، فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٤١).

(٤) «الملخص في شرح كتاب التوحيد» (ص٧٣).

وصنيع العلماء وفتاواهم الكثيرة على خلاف ذلك، وإذا كان القرآن وهو القرآن فيه متشابه كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] فكيف بكلام العلماء؟ فالذي في قلبه زيغ وهوى يتّبع المتشابه ويترك المحكم.

ولا يهمّني في هذا المقام ترجيح أحد القولين على الآخر بقدر ما يهمّني ألَّا يجعل الشيطان هذه المسألة مدخلًا للتفريق بين أهل السنّة.

وقد اشتهر الحدّاديّة بالطعن في العلّامة الألباني خاصّة، فهم يطعنون في علمائنا وهم في ذلك ما بين مستقلّ ومستكثر، ويتنازعون في كثير منهم، أما العلامة الألباني فهم كالمتفقين على الطعن فيه ورميه بالإرجاء، ولم يتوقف بعضهم في الطعن عند الألباني، بل تعدى بالطعن إلى ابن تيمية؛ لأنه يعذر بالجهل! وقد ألفت رسالة في عام ١٤٢٠هـ في الدفاع عن اتهام العلامة الألباني بالإرجاء بعنوان: (الإمام الألباني وموقفه من الإرجاء) [(١)]، وبيّنت فيها أنه بريء من أنه مرجئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

ولم يُعرف الحدادية وحدهم بالطعن في الألباني، بل جميع الأحزاب البدعية كالسرورية والقطبية والإخوانية هم شديدو الطعن في العلامة الألباني، ومن أسباب ذلك أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ استطاع أن يفضحهم، وكان ذا بيّنة وبرهان وحجة قاطعة جلية في فضحهم وقطع الطريق عليهم، وضيّق الخناق عليهم وكشف عوار وتدليس الأحزاب البدعية الحركية في هذا الزمان.

فمثلًا سفر الحوالي -وهو سروري جلد- في كتابه "ظاهرة الإرجاء" قد ملأ صفحات في الحاشية طعنًا في العلامة الألباني، مع الثناء على سيّد قطب، وسبب ذلك أن الألباني فضح

---

(١) رابط الكتاب: https://www.islamancient.com/?p=٢٩٨٩٥

ضلالهم كما تقدم، وقد رددت على كتابه هذا بكتاب بعنوان: (تطهير الأرجاء في مخالفات سفر الحوالي في كتابه ظاهرة الإرجاء) [١].

ولا يستطيع أحد منهم أن يثبت تهمة الإرجاء على العلامة الألباني إلا بالعويل والصياح وتكرار الكلام وترديده، فكونوا -يا أهل السنة- واثقين في مواجهة هؤلاء وقطع الطريق عليهم، وأخشى مع كثرة تكرار شبهاتهم أن تسري إلى نفوس بعض أهل السنة فتؤثر عليهم.

وقد ناقشت كبار الطاعنين في الألباني من التكفيريين، ومنهم ناصر الفهد -وهو من رؤوس التكفيريين- وجالست جماعة من الحدادية، وليس عندهم حجة ولا بيّنة ولا برهان وما وجدت عندهم إلا العويل، فلذلك اطمئنوا ولا تكونوا في حال ضعف في مواجهتهم.

ومما اشتهر به طائفة من الحدادية في هذا الزمان: الطعن في أبي حنيفة وامتحان الناس به، ويذكرون أقوال السلف في تبديعه، وكذلك اشتهروا بتكفير الأشاعرة، وتبديع ابن حجر والنووي، وبعضهم يصرح بتكفيرهما.

فيقال لهم: سواء كان أبو حنيفة مبتدعًا أو لم يكن مبتدعًا، ما المصلحة من الانشغال بمثل هذا؟ ولماذا تُبنى الشواهق على هذه المسألة ويُبتلى الناس بها؟ ثم علماء أهل السنة عايشوا هؤلاء من ثمانية قرون كابن تيمية وابن القيم وابن أبي العز الحنفي وابن رجب إلى أئمة الدعوة النجدية السلفية فمن منهم أشهر التبديع لكل هؤلاء؟ من؟ هل يمكن أن تكونوا أعلم وأعرف بالمصلحة منهم؟ لم لا تتهمون الرأي-إن كنتم عقلاء- وتلزمون غرزهم؟ أليس من بينهم الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق؟

---

(١) رابط الكتاب: https://www.islamancient.com/?p=١٥٣١٤

ومثل ذلك مسألة تكفير الأشاعرة، لا شك أن من العلماء من كفّر الأشاعرة كأبي إسماعيل الهروي ويحيى بن عمار وجماعة، لكن القول المشهور عند أهل السنة عدم تكفيرهم، وجعلوا تأويلهم فيما وقعوا فيه قابلًا للإعذار، فإن كنت تكفرهم فلا شك أن عندك سلف في ذلك، لكن من الخطأ أن تجعل ذلك ديدنًا لك وتُشغل به المسلمين.

وبعضهم من صغر عقله وعلمه يذكر أقوالًا كفرية عند الأشاعرة، أو يذكر أقوالًا لازمها الكفر عند الأشاعرة، ثم يُحاول أن يجعل من لا يُكفِّرهم متناقضًا، فيقال له: فرق بين كفر النوع وكفر العين، ومن موانع التكفير أن يكون عند الرجل أو الطائفة تأويل سائغ، والمشهور عند أهل السنة عدم تكفير الأشاعرة لأجل التأويل.

ثم اليوم المعركة في تبديع الأشاعرة لا في تكفيرهم، ومن أهل السنة من زلت به القدم وتساهل في هذا الباب، فلنجمع الهمم والجهود في بيان ضلال الأشاعرة وتحذير الناس منهم والرد عليهم وإسقاطهم بالبيّنة والبرهان، لا أن تصبح قضية الرجل وديدنه تكفير الأشاعرة والانشغال بالرد على من لا يقول بتكفيرهم، أو الانشغال بمسألة تبديع ابن حجر والنووي -رحمهما الله تعالى-، فمثل هؤلاء إما عندهم نقص في العلم أو نقص في العقل أو في كليهما، فأين المصلحة في مثل هذا؟ والدين قائم على جلب المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها!

أمثلة لبعض رؤوس الحدادية ممن اشتهر بتبديع المخالف في مسألة العذر بالجهل، وبعضهم زاد غلوًّا فكفر المخالف:

الأول: عبد الرحمن الحجي.

وقد كان بين أظهرنا في الرياض، محمود السيرة بين أهل السنة السلفيين، وكان يتبنى القول بعدم العذر بالجهل، لكنه تجاوز الحد وأظهر الغلو في التكفير وغيره، والآن يسكن

في منطقة -لا أريد ذكرها- وحوله كثير من الوافدين على فكره، ويخشى من ازديادهم، ومن أتباعه من مات أبوه وأمه فلم يترحم عليهما، ولم يرثهما، إلى غير ذلك ويقول: ماتوا على الشرك.

وأذكر بعض شواهد غلوه في أمور:

الأمر الأول: تأصيله لقاعدة منحرفة مفادها تبديع من يعذر بالجهل، ثم انتقل من التبديع إلى التكفير! فهو يُكفِّر من يعذر بالجهل.

الأمر الثاني: قدحه في علماء السنة المعاصرين، وفي بعض عباراته تكفير لبعضهم! كقوله عن العلامة الألباني: إنه لا يستطيع أن يُجيب في قبره إذا سُئل من ربك؟

الأمر الثالث: مع أنه كان سابقًا يعظم شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب إلا أنه بسبب غلوه صار يقدح في معتقد ابن تيمية واصفًا إياه بـ"المشوش في العقيدة"! ويصف تلاميذ محمد بن عبد الوهاب بأنهم قد حادوا عن الخط المستقيم الذي كان يسير عليه الشيخ! ولا أدري هل زاد به الغلو وأصبح يقدح في شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب نفسه أم لا؟!

الأمر الرابع: كان يقول سابقًا: إن الدولة السعودية الآن كحال المعتصم! والله أعلم أين بلغ به الغلو بعد ذلك.

هذه بعض شواهد غلوه، ثم هو من أضعف الناس حجةً، وصاحب إجمالات في العلم، فهو صاحب حماسة ووعظ بلا تأصيل، لذا يظهر جهله الكبير عند مباحثته ومناقشته، وقد اغتر كثيرون بحماسته ووعظه فلبَّس عليهم، أسأل الله أن يهديه وأن يقطع ذكره وأن يكفي المسلمين شره وشر كل مفسد.

الثاني: د. عبد الله الجربوع.

وهو رجل كبير في السن، غير أن كبر سنه لم يُفده من التجارب، ولم يُرشده لحسن التعامل مع الأمور، ولم يستفد علمًا يميّز به بين المسائل، وقد جالسته مرات ولم أر علمًا محققًا ولا بحثًا مدققًا، وليس عنده إلا الحماسة والتهويل واجتزاء النقولات عن سياقها الصحيح.

ومن عجائبه ومضحكاته إصراره على أن ابن تيمية لا يرى العذر بالجهل! وإذا نُقل له كلام صريح لابن تيمية في العذر يذكر كلامه العام بأن من فعل كذا أو قال كذا فهو كافر، فيجعل أمثال هذه العمومات قولًا له، والنقولات الكثيرة والصريحة في العذر قولًا آخر.

مع تكرار ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هناك فرقًا بين كفر النوع والعين وأن الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار والقياس على ذلك، لكن الجربوع -بجهل أو هوى وبحجة هزيلة- يجعل كلامه في كفر النوع قولًا آخر في كفر العين! هذا وهو متخصص في العقيدة! ولا أظن أن يتأثر به كثيرون إلا إذا رأوا كبر سنه وظنوا أنه على شيء، وفي الواقع أنه ليس على شيء، أسأل الله أن يكفي الناس شره.

وقد اجتمعتُ به في مجلسٍ حضره اثنان من طلبة العلم، وكان ذلك آخر لقاء بيني وبينه، وكنت يومئذٍ أحاول تأُلّفه، فلما التقينا قال: جزاك الله خيرًا يا عبد العزيز، ما قطعتني مثل غيرك، ثم ذكر أن من المسائل التي فرَّقت بين أهل السنة مسألة العذر بالجهل وغيرها، وأخذ يعددها حتى ذرفت عيناه، وقد تأثرتُ بكلامه.

لكن ما لبث أن انقلب فجأة، فقال: غير أن عند المشايخ وطلبة العلم في الشام مسألة خطيرة، وأنت توافقهم فيها، وهي أنهم يعذرون بالجهل! فضربتُ فخذه ضربة خفيفة وقلت: لتوِّك تستنكر تفريق هذه المسائل بين أهل السنة، ولم يجف فمك بعد، فكيف تجعلها الآن طعنًا؟!

وقد اجتمعتُ به في مجلس قبل ما يقارب عشرين سنة تقريبًا ودار بيننا نقاش، وفتح أثناءه مسألة العذر بالجهل، وخلال الحديث قال – منتبهًا ومؤكدًا –: إن التوحيد شرط لصحة الإسلام، كما أن الطهارة شرط لصحة الصلاة، ثم قال: هل يوجد أحد من أهل العلم يصحح صلاة من فقد شرط الطهارة؟ ثم قال: أتحداك يا عبد العزيز أن تجد أحدًا من أهل العلم يقول بذلك أو يقرره. فقلت له: بلى، هذا موجود. فقال: من هو؟ فقلت: شيخ الإسلام ابن تيمية.

فقد ذكر كما في (مجموع الفتاوى)[١] في أكثر من موضع أمثلة تدل على ذلك، منها أن فاطمة بنت أبي حبيش كانت تستحاض وكانت لا تتوضأ[٢]، مع أن الحدث ناقض من نواقض الوضوء، ومع ذلك لم تؤمر بإعادة الصلاة، ومنها قصة عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين تمرغ في الصعيد كما تمرغ الدابة[٣]، ومع ذلك صحت صلاته، وقد أورد شيخ الإسلام أمثلة أخرى في هذا الباب.

فلما ذكرتُ ذلك سكت، فظننت أنه –على أقل تقدير– قد هدأ في هذه المسألة، غير أن الأيام أظهرت بعد ذلك صدور كلمات شديدة منه فيها.

ومن خلال ما رأيتُ من تقلباته ومواقفه، يظهر أن عنده اضطرابًا يُخشى معه من الفتنة؛ لا سيما وقد التف حوله بعض طلاب الجامعة الإسلامية من الروس، فصاروا يجلبون إليه طلاب روسيا الجدد، حتى بدأ ينتشر بينهم القول بعدم العذر بالجهل على طريقة الجربوع.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٠) وما بعده.

(٢) صحيح البخاري (١/ ٥٥) رقم: (٢٢٨)، وصحيح مسلم (١/ ١٨٠) رقم: (٣٣٣).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٧٨) رقم (٣٤٧)، وصحيح مسلم (١/ ١٩٣) رقم: (٣٦٨).

ولهذا يجب أن ينتبه لهذه الفتنة، وأدعو المشايخ وطلبة العلم في المدينة إلى بذل الجهد في بيان شبهته للطلاب الروس حتى لا يغتروا به، وحتى لا تكون الجامعة الإسلامية منطلقًا لمثل هذا الفكر في بلادهم، كما أدعو طلبة العلم من الروس وغيرهم إلى القيام بدورهم في التحذير من هذه الانحرافات ومواجهتها.

الثالث: أحمد الحازمي.

توجَّه إلى السلفية على ضعف، واستمر على ذلك زمنًا، حتى واجهه بعض السلفيين، وفي ظني أنه بُغي عليه في تلك المواجهة، فكانت عنده ردة فعل. ومنذ ذلك الحين صار يفتش عن مسائل يخالف بها من بغوا عليه.

فدخل في مسائل الإيمان والعذر بالجهل، وغلا فيها حتى انتهى به الأمر إلى القول بعدم العذر بالجهل مطلقًا، بل تجاوز ذلك إلى أن صار يدندن حول تكفير من يعذر بالجهل، فجعل هذه المسألة محور كلامه ودعوته.

وسمعت له لقاءً أو درسًا مرئيًا في مصر استمر أكثر من ساعة، وكان عنوانه: (ذكر أدلة من لا يعذر بالجهل والرد عليهم) وكنت أظن أنه سيأتي بكتب كثيرة، وينقل أقوال المخالفين له ثم يرد عليها. لكني رأيت في التصوير أنه ليس أمامه كتاب واحد، فظل يتكلم كلامًا عامًا حتى بلغ نحو الدقيقة الخمسين أو أكثر، ثم قال: إن الذين يعذرون بالجهل يتمسكون بكلام ابن تيمية، وابن تيمية عالم واسع الاطلاع، فلا يصح أن نعتمد على أفهامنا لكلامه، بل نعتمد على فهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ثم قال: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يفرق بين المسائل الجلية والخفية، فإذا فُهم كلام ابن تيمية على هذا التفريق انتهى البحث.

وهذا كلام عجيب؛ حتى لا يدري المرء أهو كلام رجل عاقل أم صاحب هوى. كيف يُجعل كلام العلماء كلهم مردودًا إلى كلمة واحدة من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة؟

ثم إن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله- ذكر في الدرر السنية [١] كلامًا صريحًا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفيه قوله: ما نكفّر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر وعلى قبر البدوي لعدم وجود من ينبههم، إلى آخر كلامه. وهذه أمور ظاهرة صرّح فيها بعدم التكفير. وكذلك قد بيّنتُ كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب (شرح مفيد المستفيد)، فمن أراد التفصيل فليرجع إليه.

والمقصود أن الحازمي اختزل البحث كله في هذا التقرير المختصر، ثم أورد شبهة قال فيها: انتبهوا؛ إن العلماء -إلا المعتزلة- متفقون على أن من فعل الفعل وُصف به، فمن زنى فهو زانٍ، إذن من ذبح لغير الله فهو مشرك، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة.

فنقول: التأصيل الذي ذكره صحيح، لكن التطبيق غير صحيح. فمن زنى فهو زانٍ، لكن الحكم بفسقه بحث آخر، لأن وصف الفعل شيء، والحكم على الفاعل شيء آخر.

فمن ذبح لغير الله فهو ذابح، كما يقال لمن زنى: زانٍ، لكن الحكم عليه بالشرك أو الفسق مسألة أخرى. فالوصف يُنسب إلى الفعل، أما الحكم فإلى ذات الرجل وعينه فيحتاج إلى بحث آخر.

وأما الخلاف مع المعتزلة فليس في الحكم، وإنما في أصل الوصف؛ فهم لا يجعلون الفعل وصفًا لصاحبه، فلا يقولون فيمن ذبح: ذابح، ولا فيمن زنى: زانٍ. ومن هذا الأصل جاء عندهم القول: سميع بلا سمع، ونحو ذلك.

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٠٤).

فالحازمي خلط بين الوصف الناتج عن الفعل وبين الحكم على الفاعل. فنحن نقول: من زنى فهو زانٍ، وحكمه فعل الفسق، ومن ذبح لغير الله فهو ذابح، وحكم فعله الشرك. لكن هل يُنزَّل هذا الحكم على الشخص بعينه؟

هنا يقع الخلاف؛ فالذين يرون العذر بالجهل يقولون: لا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع قبل تنزيل الحكم على المعيَّن. وأما من لا يعذر بالجهل فيقول: لا أعذر بالجهل، لكني أعذر بالإكراه ونحوه. فهذا هو محل البحث.

وهذا الخلط الواضح هو الذي أوقع الحازمي في التيه، وهو في الحقيقة الدليل الوحيد الذي ردده في تلك المحاضرة الطويلة، مع أن المسألة أوضح من ذلك بكثير. نسأل الله لنا جميعًا الهداية.

والحاصل أن الحازمي غلا في هذه المسألة، وقلت لكم: لما رأى بعض الناس قد شددوا عليه واعتمدوا على كلام الشيخ ربيع والشيخ عبيد وغيرهما، ذهب وتمسك بهذه المسائل ليطعن فيهم، واتكأ على كلام للشيخ صالح الفوزان في مسألة العذر بالجهل.

فاجتمع حوله عدد من الشباب، وأكثرهم من العجم أو من العرب الذين عاشوا في بلاد العجم، فتأثروا به، وتبنوا القول بعدم العذر بالجهل، وكانوا يستندون في ذلك إلى بعض فتاوى الشيخ صالح الفوزان.

ومع مرور الأيام وجدوا للشيخ الفوزان فتاوى أخرى يعذر فيها بالجهل، بينما كان الحازمي مضطردًا على قوله، فصار المخالفون يحرجونهم بذكر تلك الفتاوى.

وحينئذ قال أتباعه: إن الشيخ الفوزان عنده اضطراب في هذه المسألة، واستطال عليهم خصومهم بذلك، فتركوا التعلق بكلام الشيخ الفوزان، وتعلقوا بالحازمي.

والنتيجة أنهم غلوا في هذه المسألة غلوًا شديدًا، حتى انتهى الأمر ببعضهم إلى الالتحاق بساحات القتال مع داعش والنصرة.

تأملوا: من كونهم سلفيين إلى أن صاروا داعشيين!

وكان ذلك -في تقديري- بسبب تأثير الحازمي وغلوه في هذه المسألة، فقد أضلهم وأضرهم بهذا المسلك. والحمد لله أن الحازمي قد قُبض عليه منذ سنوات وهو في السجن، نسأل الله أن يهديه، وألا يخرج حتى يُكفى الناس من شره.

الرابع: (...)

لن أذكره باسمه لأنه أقل من ذلك، وقد عرفته من صغره، وهو متهور لا عقل له، ولا يحسن النقاش ولا البحث، وإنما يحسن الصراخ، ويقع كثيرًا في العلامة الألباني وفي غيره، بل يدرس الطلاب في جامعة الإمام في القاعات ويتكلم عند الطلاب في العلامة الألباني وغيره، وكذلك يتكلم عليه في (منصة أكس)، وهو مسكين تائه حماسي، وكل يوم يكتب رسالة ولا يفكر في الحجة ولا البينة ولا البرهان، وإنما كل ما خطر في رأسه كتبه، ويخرج نتيجة بلا مقدمات، وأصبح يأخذ الأمور على قاعدة خذوه فغلوه.

ومثل هذا المسكين حطب هذه الفتنة، وغير بعيد سيحترق كما احترق غيره، ويذهب إلى مزبلة التاريخ، فإن الله ينصر من نصر دينه، ويكسر من خالف دينه.

ومن الحدادية من يظهر باسم الألفة والمحبة والإخاء، بل يكتب رسالة في الألفة بين أهل السنة وعدم الخلاف بين أهل السنة، ثم العجيب قرأت لأحدهم رسالة في ذلك وفي مضمون البحث وضع جدولًا يصف فيه من يشد عليه ولا يعذر، فذكر منهم: من لا يعذر بالجهل! وهو قبل ذلك في مقدمته يدعو إلى الألفة، وأنه لا يوافق أمثال هؤلاء! وبعض

مشايخنا الأفاضل قرأ مقدمته وأول كلامه فاغتر بكلامه، وأشاد برسالته، ولو أكملها لرأى غلوه.

الخاتمة:

إن الكلام على الحدادية يطول، غير أني أدعوكم -يا أهل السنة- إلى معرفة حالهم والتنبه لمنهجهم، وقد أطلتُ في ذكرهم وذكر رموزهم للحاجة الماسّة إلى ذلك، مع قلة من يتكلم فيهم ويبيّن خطرهم، فإن السكوت على أمثال هؤلاء وهم يجتهدون في نشر باطلهم يورث فسادًا في الصف السلفي من داخله، وتنقية الصف من الداخل مطلب شرعي عظيم؛ فحفظ رأس المال مقدَّم على الربح.

ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجد أنه كان يعتني بتصحيح العقائد وتنقية الصفوف، ولو كان المسلمون في حال مواجهة مع عدوهم، وهكذا كان هدي السلف.

ثبت عند الترمذي والنسائي وغيرهما [(١)] من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال ﷺ -كما عند النسائي-: «الله أكبر»، وفي رواية الترمذي: «سبحان الله»، ثم أنكر عليهم ذلك أشد الإنكار.

فتأملوا: أنكر عليهم النبي ﷺ هذا القول مع أنهم خارجون إلى معركة لمواجهة الكفار؛ لأن سلامة التوحيد وتنقية الصف مقدمة على مجرد اجتماع الناس أو كثرتهم.

---

(١) «سنن الترمذي» (٤/ ٤٩) رقم: (٢١٨٠)، النسائي في الكبرى (١٠/ ١٠٠) رقم: (١١١٢١).

فبيان الانحرافات والتحذير منها ليس تفريقًا للصف كما يظن بعض الناس، بل هو في الحقيقة حفظٌ له وصيانةٌ للدعوة، فالسكوت عن الخطأ بدعوى جمع الكلمة يفضي إلى تراكم الانحرافات حتى تفسد الدعوة من داخلها.

نسأل الله أن يثبتنا على التوحيد والسنة، وأن يرزقنا البصيرة في الدين، وأن يجمع قلوبنا على الهدى، ويجنبنا مسالك الغلو والانحراف.

(الكلمة الثانية)

سأل بعض الإخوة عن شبهة للحدادية وأجبت عنها بما يلي: ونص السؤال:

"يقول بعض الناس: إنك إذا احتملت وعذرت من أخطأ في العقيدة والمسائل الكبرى مقدمةً ونتيجةً، كابن حجر والنووي وغيرهما؛ فإنه يلزمك لزامًا لا ينفك إلا بالهوى الصريح، أن تعذُر من يرد عليهم مقررًا العقيدة الصحيحة، مهما كان في قوله من الغلظة أو التخفيف. فما الجواب عن هذا أحسن الله إليكم؟".

الجواب:

يكثر الكلام على شراح الأحاديث والمفسرين في هذه القرون المتأخرة، كابن حجر والنووي، وقبلهم القرطبي -سواء أكان أبو عبد الله أم أبو العباس- وفهم الجواب عن هذا السؤال -والله أعلم- يحتاج إلى تصور الفرق بين من ألّف في العلم كتفسير القرآن وشرح الأحاديث النبوية ثم جاءت فيها بعض البدع تبعًا، وبين من ألّف كتابًا في البدعة والدعوة إليها، فهذا يُغلظ ويشدد عليه وعلى كتابه، بخلاف الأول؛ لأن البدع فيه جاءت تبعًا والأصل أنه كتاب في العلم الشرعي المفيد، ومع ذلك يجب إنكار ما فيه من بدع وأخطاء عقدية والتحذير منها.

ومن الكتب التي أُلِّفت في البدعة كتاب (الكشاف) للزمخشري، فقد ألَّفه للبدعة ونشر الاعتزال، ومثله (الجوهرة) وشرحها كشرح الباجوري في نشر المعتقد الأشعري، ومنها كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب، فقد أُلِّف في البدعة الحركية الثورية، لذا إذا تكلم عن الشرك فإنما يريد الحاكمية، ولا يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية، فأمثال هذه الكتب يشدد فيها ويجب أن تُحرق وتمزق، وقد يستفيد منها طلاب العلم للرد عليها دون غيرهم، أما الكتب المفيدة والمؤلفة في العلم ثم جاءت فيها البدع تبعًا فيستفاد منها مع الحذر من

بدعها وأخطائها العقدية والتحذير منها، إما عند شرحها والتعليق عليها، أو غير ذلك، ككتاب (فتح الباري) لابن حجر، أو شرح النووي على مسلم، ونحوها من كتب العلماء.

فالأصل في كليهما الهجر والترك؛ لعموم الأدلة في وجوب هجر أهل البدع، لكن لا يُشدد مع الكتب التي أُلِّفت في العلم وجاءت فيها البدع تبعًا لأجل المصلحة الراجحة، فهي كتب علم وفيها فائدة ونحن مضطرون إليها، وهجر أهل البدع مشروعٌ من باب سد الذرائع، وما مُنع سدًا للذريعة جاز للمصلحة الراجحة؛ كما دلت على ذلك أدلة كثيرة، وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في (مجموع الفتاوى)[١] وابن القيم في مواضع منها كتاب (الهدي) [٢].

وبعضهم يطرح إشكالًا من باب المشاكسة والمناطحة والمماحكة، فيقول: **"لماذا تتساهلون مع كتاب (فتح الباري) لابن حجر وتشددون على (الظلال) لسيد قطب؟"**.

فيقال: أين الثرى من الثريا؟! لا من جهة نوع الأخطاء، ولا من جهة فائدة الكتاب، والتسوية بينهما من الظلم والبهتان! أما يستحي هؤلاء من مثل هذا الكلام؟ هل ابن حجر والنووي سبوا أنبياء الله؟ أو سبوا صحابة رسول الله ﷺ؟ كما فعل سيد قطب؟ ثم كتاب (الظلال) ليس مرجعًا علميًّا وإنما كتاب مؤلف في الفكر الثوري الحركي.

لذا لا تجد العلماء يقتنون كتاب (الظلال) بل لا يعرفونه؛ كما ذكر الشيخ ابن عثيمين أكثر من مرة، لأنه لا علم فيه، بخلاف (فتح الباري) وشرح النووي على مسلم، وغيرهم، فالعلماء يقتنونها لحاجتهم إليها مع وجود الأخطاء العقدية.

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٦٤).

(٢) زاد المعاد (٣ / ٦٠٧).

والأشاعرة يفتنون أصحابهم بأن هؤلاء علماء وأنهم أشاعرة أو موافقون للأشاعرة، لكن كم عدد الذين خرجوا من السنة إلى الأشعرية بسبب كتاب (فتح الباري) أو شرح النووي على مسلم أو شرح القاضي عياض على مسلم، أو شرح أبي العباس القرطبي على مسلم، أو تفسير أبي عبد الله القرطبي، إلى غير ذلك؟ أنا لا أكاد أعرف أحدًا، وإن وُجد فهو نادر ولا يكاد يُذكر.

لكن في المقابل كم رجلًا خرج من السنة إلى البدعة بسبب (الظلال)؟ كم رجلًا خرج من السنة بسبب كتاب (العدالة الاجتماعية) وكتاب (معالم في الطريق)؟ وبسبب دعاة الضلالة من الحركيين كسلمان العودة أو سفر الحوالي أو ناصر العمر ...؟ كثيرون، بل حدثني أحد المشايخ -وهو الآن هو ابن الثمانين- أنه لما كان طالبًا في المعهد العلمي كان يحفظ (العدالة الاجتماعية) أو (معالم في الطريق)، وكان يكفر المجتمعات الإسلامية! رجل نشأ في السعودية من أبوين سلفيين، ودرس عند العلماء السلفيين، ومع ذلك لما حفظ هذا الكتاب أصبح يكفر المجتمعات، ثم قال: ما أفقت إلا لما درَّسنا الشيخ فلان في المعهد العلمي العقيدة الواسطية، وبيَّن معتقد أهل السنة وأنه وسط بين الخوارج والمرجئة، أفقت حينها وانتبهت.

والحدادية أصناف:

الصنف الأول: عندهم الغلو في العذر بالجهل، وليس عندهم إلا هذه القضية ويشددون على من لا يعذر بالجهل ويعدونه مرجئًا، بلا بينة ولا برهان وإنما بالعناد ولبس الحق بالباطل.

وحقيقة خلاف هؤلاء ليس في العذر بالجهل، وإنما خلافهم مع العلامة الألباني ومحبيه، ويوضح ذلك أن لهم أصحابًا يعذرون بالجهل ومع ذلك يصاحبونهم ويذهبون

ويجيئون معهم، لكن إذا دافع الرجل عن الألباني وذكره بالجميل -كما هو حقه- شددوا عليهم بحجة العذر بالجهل.

بل بعض هؤلاء يتساهل مع السرورية، مع أن السروريين كالمطبقين على العذر بالجهل حتى لا يبدعوا رؤوسهم ورموزهم، بل أحد هؤلاء الحدادية شديد على إخوانه السلفيين ويسميهم مرجئة ويردد ذلك ليل نهار صباح مساء، ثم لما مات رمز من رموز السروريين المعروفين قال: إنه سلفي! مع أن هذا الرمز يعذر بالجهل، فلماذا لم يعده مرجئًا كما وصف السلفيين بالإرجاء؟! أرأيتم الغلو؟

ومن أمثلة هذا الصنف من الحدادية: -المسكين- عبد الله الجربوع، ولم أرد الرد عليه لأنه ليس أهلًا للرد، لكن رددت عليه لما علمت أن بعض الجهلة من الروسيين تأثروا به، وكلما جاءهم شاب جديد فتنوه بالجربوع، مع أنه ليس أهلًا للإقناع ولا البينة والبرهان، ليس عنده إلا نقل واحد لابن تيمية يكرره ليل نهار، وقد رددت عليه وبينت أن النقل في واد وهو في واد، ومع ذلك يتمسك به بجهل أو عناد، وأرى أن الجربوع سينتهي، والروسيين الذين يجالسونه لم يتغيروا بسببه فحسب، وإنما أيضًا لانتشار الفكر التكفيري والغلو في الجهاد بينهم بعد معركة الشيشان السابقة، فصاروا يبحثون عمن يؤيدهم فوجدوا الجربوع فاجتمعوا عليه.

الصنف الثاني من الحدادية: حدادية الغلو في التبديع، وأول من بدأ بها -فيما أعلم- محمود الحداد المصري، وهو الذي نسبت إليه الحدادية، وقد كان عنده إظهار تعظيم السلف، ثم أظهر التبديع بغير ضوابط وإنما بالغلو فيه، فيبدعون حتى بالجزئيات، ومن المؤلم أن أكثر من يفتن بحدادية التبديع بعض الشباب السلفي؛ وذلك لأنهم يتكلمون

بالآثار وبتعظيم السلف، لكن بعضهم مع الأيام وكبر السن علموا أن ما كانوا عليه مجرد حماسة شباب.

والسلف مجمعون على عدم التبديع بكل جزئي، بل يفرقون بين الجزئيات، ومن ذلك أن شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) ذكر أن القاضي شريحًا أوَّلَ صفة العجب وأنكر قراءة {بَلْ عَجِبْتُ}، قال ابن تيمية: ومع ذلك هو إمام من الأئمة بالاتفاق[١].

وذكر ابن تيمية في (بيان تلبيس الجهمية)[٢] أن للكرجي رسالةً ذكر فيها خطأ ابن خزيمة في حديث الصورة، وخطأ أبي أحمد القصاب في دوام عذاب القبر -لا ينكر عذاب القبر وإنما ينكر دوامه- ثم دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية وذكر كلام العلماء في الدفاع عنهما، وأن ابن خزيمة اشتهر بلقب "إمام الأئمة"؛ وذلك لأن خطأهما جزئي، وليس كل جزئي يبدع به الرجل، وسبق التفصيل فيما يُبدَّع به.

الصنف الثالث من الحدادية: تقدم الكلام عن حدادية التبديع، وهم لا يرتضون بالسرورية البتة، لكن خرجت حدادية ثالثة خليط ومزيج بين حدادية محمود الحداد والسرورية؛ فيعظمون بعض رؤوس السروريين وبعض رؤوس الجهمانييين -وقد سبق وفصلت في أكثر من مناسبة الفرق بين السروري والجهيماني- ومما عندهم نقد الحكام والقدح فيهم، وعندهم غلو في باب التبديع، وبعضهم عنده غلو في مسألة العذر بالجهل، وقبل سنيات خدع بهم الشباب وكان عليهم إقبال كبير، والآن الذي أرى أن الشباب بدأوا يفيقون ويخرجون من هذه البوتقة، وإن كان لا يزال جمع منهم مخدوعًا.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٩٢).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٩٨) وما بعده.

وقد هاتفني جمع من شبابهم، فقلت لهم: مَن مِن علماء أهل السنة الذين سلكوا هذا المسلك؟ فشنعوا وبدعوا وحذروا من علماء الإسلام عبر هذه القرون الست أو السبع؟ فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ثم ابن القيم ثم ابن رجب ثم ابن العز الحنفي وبينهم ما بينهم من علماء السنة إلى أئمة الدعوة النجدية السلفية، من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأنصار دعوة التوحيد، مَن منهم قام هذه القومة على هؤلاء العلماء وشنع عليهم وحذر؟

فقلت لبعضهم: اتهِم الرأي! -كما قال سهل بن حنيف في صحيح البخاري[١]، وجاء عن عمر- وراجع نفسك! هل يعقل أنكم اهتديتم إلى خير لم يهتد إليه أئمة وعلماء السنة من قرون؟ أين علماء السنة أهل الغيرة عن مثل هذه الطريقة؟ بل قد كلمني شاب وناصحته بنحو هذا الكلام، وقلت له: إن ابن بطال يؤول، قال: لا أعرف ابن بطال، قلت: هذا شارح للبخاري ويؤول، قال: إذا ثبت أنه يؤول فهو كافر، قلت: وابن عبد البر يؤول، قال: كافر، وكلما ذكرت له عالمًا يؤول قال: كافر! فقلت له: راجع نفسك! ما الذي أوصلك إلى هذا؟! أحماسة هؤلاء الحدادية المجانين أوصلتك إلى هذا الحد.

فتشعر أن القوم لا عقول لهم، أو أنهم دخيلة زُرعوا بين السلفيين حتى يقووا الحزبيين عليهم، فجأة خرجوا أمام الناس بمسألة تكفير الأشاعرة وبإظهار الطعن على أبي حنيفة، وجعلوها معركة وديدنًا، وأصبحت من قضاياهم وأصولهم، وهذا غلط، وإن كان هناك من كفرهم لكنهم قلة جدا، وبعضهم فهم التكفير من بعض العبارات لعلماء كقولهم: زنديق زنديق ... لكن لا يلزم من ذلك التكفير؛ لأن الزنديق عند السلف وعند العلماء بمعنى المنافق[٢]، وقد يكون نفاقًا أكبر أو أصغر.

---

(١) البخاري (٤ / ١٠٣) رقم: (٣١٨١).

(٢) المغني (٩ / ١٥٩).

لكن افترض أنك جمعت عشرة أو عشرين كفروا الأشاعرة -لو استطاعت- ففي المقابل مئات من علماء الإسلام لم يكفروهم، وإن اعتقدت كفرهم فلك اجتهادك -إن كنت أهلًا للاجتهاد- لكن لماذا تشهر هذا وتظهره وتجعله ديدنًا؟ فبمقتضى الحكمة ألا تظهره بهذه الطريقة؛ وذلك لأمرين:

الأول: نقلت المعركة من تبديع الأشاعرة وتضليلهم إلى الخلاف في صفوف السلفيين هل هم كفار أو مسلمون؟، فسيختلف معك أناس آخرون من السلفيين ولهم علماؤهم الكبار الذين لا يكفرون، فتصبح المعركة بينك وبينهم بدلًا من أن تكون المعركة ضد المخالفين، فضيعت المصلحة وأعطيت المخالفين حجة على السلفيين -وأنت لست أهلًا أن تمثل السلفية- والمخالفون يتمنون مثل هذا.

الثاني: أن أهل البدع من الأشاعرة وغيرهم يتمنون إظهار تكفير أهل السنة لهم لتنفر الناس والحكومات من السلفيين، وبمثل هذا فعل أهل البدع مع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فقال: أبرأ إلى الله من ذلك ولا أكفركم[١]. فكان يدافع عن نفسه أنه لا يكفر المخالفين، بل أحد دعاة المولد لما رد على السلفيين الذين ينكرون المولد قال عنهم -كذبًا-: إنهم يكفرون من يحتفل بالمولد! فهم حريصون على التشنيع على أهل السنة بالتكفير.

لكن الحق أبلج والباطل لجلج -ولله الحمد- وأنا أعتقد أن هؤلاء سحابة صيف وتنقشع عما قريب، فأدعو إخواني السلفيين وأدعو الشباب الذين يخشى أن يتضرروا بهم أن يراجعوا أنفسهم، وليعلموا أن البدعة لا تروج إلا لأنها تُخلط بالحق كما ذكر ابن تيمية في

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١ / ١٠٢).

(درء تعارض العقل والنقل)[١]، فبعض هؤلاء يُظهر تعظيم السلف والرد على الحركيين فيُظن أنه على خير فيُغتر به، أين علماؤنا في هذا القرن والقرون التي قبله؟ أين العلماء أهل الغيرة والدين من هذا المسلك؟ مَن مِن العلماء سار على هذه الطريقة؟

وقد كان لي درس في التعليق على أحد الكتب، إما (الإبانة الكبرى) لابن بطة أو (الإيمان الأوسط) لابن تيمية أو (شرح حديث النزول) أو غيرها، فداخلني أحد هؤلاء الشباب وأنا أعرف طريقتهم، فهم لا يتجاوزون خمس أو سبع مسائل، فداخل بحماسة ليعرض بعض ما عنده، فقلت: يا فلان رويدًا رويدًا، نأخذها مسألة مسألة إذا انتهى الدرس.

فبدأ بمسألة الإجماع على كفر المعتزلة وأورد نقلًا لابن القيم ذكره الموصلي في (مختصر الصواعق)[٢]، فذكرت له أن الضمير في التكفير يحتمل أنه يرجع للمعتزلة ويحتمل أنه يرجع للقول بخلق القرآن، وذكرت له نقولات عن ابن تيمية وابن القيم في عدم تكفير المعتزلة، فكيف يحكي ابن القيم الإجماع وهو وشيخه لا يكفرون المعتزلة؟

ثم انتقل إلى مسألة تكفير الإمام أحمد للمعتصم، فقلت له: كلام ابن تيمية كثير عن أحمد أنه لا يكفر المعين في مسألة خلق القرآن إلا بعد توافر الشروط وانتفاء الموانع، ونقل ابن أبي عاصم في كتاب السنة ذلك عن السلف، فكيف تترك نقل ابن تيمية عن أحمد[٣] ونقل ابن أبي عاصم عن السلف[٤]؟

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢ / ١٠٤).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص٥٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٨٧).

(٤) السنة لابن أبي عاصم (٢ / ٦٤٥).

ثم قرأت عليه من كتاب (المحنة)، وقد روى كتاب (المحنة)[١] اثنان: حنبل وصالح، ورواية حنبل أطول من رواية صالح، وفيها أن الإمام أحمد دخل وقال: يا أمير المؤمنين ... رحمك الله يا أمير المؤمنين ... غفر الله لأمير المؤمنين ...إلخ، ومما قال أحمد عن المعتصم وغيره: جعلتكم كلكم بحل. فقلت له: هل أحمد يعتقد كفره ويقول فيه هذا الكلام؟!

ومن المسائل التي ذكرها هذا الشاب مسألة غيبة الحاكم وأورد بعض الآثار في جواز غيبة السلطان، وقد ذكرت له أن في كتابي (الإمامة العظمى) الجواب عنها وأنها لا تصح، فارجع إليه، ثم قلت له: كيف تركت أثر أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه ابن أبي عاصم قال: **"نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا أمراءكم ..."** [٢]، فأنس ينقل هذا عن كبار الصحابة، تدرون ماذا قال؟ قال: أمي الآن تدعوني وأنا مضطر أن أذهب إليها، قلت: الأمر سهل وحفظ الله أمك وأطال عمرها على طاعته، اذهب لأمك والموعد الغد، ومن ذاك اليوم إلى اليوم لا أدري ما حاله.

فالقوم إذا أُخذوا بالحلم والعلم كسروا، ليس بعيدًا عنهم الخوارج.

وأذكر أنني ألقيت درسًا في شرح (كتاب التوحيد) وكان ذلك في فترةٍ قريبة من حادثة تفجير حي غرناطة في الرياض، وبعد انتهاء الدرس اجتمع عندي نفرٌ من هؤلاء الخوارج، والعجيب أنك تكاد تميزهم من هيئاتهم، فجاء أحدهم متحمسًا وذكر عبارة لم أكن قد سمعتها من قبل، قال لي: "ألا تتقي الله؟! كيف تدافع عن ابن أبي سلول؟" فتعجبت من عبارته، وقلت له بحزم: من تقصد؟ أتقصد آل سعود؟ فلما رأى مني حزمًا وجزمًا تراجع

---

(١) كتاب المحنة رواية حنبل (ص ٩٩، ١٣٣).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (٢ / ٤٨٨).

وظهر عليه الضعف، فهذه حالهم: إذا شُدِّد عليهم وأُخذوا بالعلم ضعفوا، وإذا لُيِّن لهم الجانب استأسدوا، ثم سألته: بأي دليل تُكفِّر؟ فلم يأتِ بحجةٍ تُذكر، بل قال كلماتٍ متفرقة، ثم سحبه أحد أصحابه وانصرفوا.

والمقصود من هذا كله أن الصنف الثالث من الحدادية وإن أحدثوا في الوقت الحاضر شيئًا من البلبلة والاضطراب، إلا أنهم -بإذن الله- كسحابة صيف سرعان ما تنقشع، وبوادر ضعفهم بدأت تظهر بالفعل.

وليس شأني الانشغال بأحوالهم بقدر ما يشغلني حال الشباب السلفي الذي قد يُغتر بهم تحت شعارات السلفية والسنة، أما من وقع في بدعة فيجب التحذير من بدعته، وهذا لا إشكال فيه، وأما التحذير من الشخص بعينه، فالأصل فيه الجواز سدًا للذريعة، غير أن ما مُنع سدًا للذريعة قد يُباح تركه إذا وُجدت مصلحة راجحة.

ومن المعلوم أن العلماء الذين فسروا القرآن الكريم وشرحوا كتب الحديث لا يُستغنى عنهم؛ إذ لا يكاد باحثٌ في هذا العصر يحقق مسألةً علميةً إلا ويمر على كتبهم وينتفع بها، وإلا كان بحثه ناقصًا واستقراؤه قاصرًا، ولو افترضنا -جدلًا- أننا في زمنٍ كثرت فيه شروح علماء السلف، وعندنا كتب أخرى فيها أخطاء عقدية، لأمكن الاستغناء عما فيها بكتب أهل السنة فحسب، لكننا نتحدث عن واقعٍ لا عن افتراض.

فلابد التنبه إلى الفرق بين شُرّاح الحديث ومفسري القرآن من جهة، وبين غيرهم من أصحاب الانحرافات الذين ألفوا نصرة لانحرافاتهم من جهة أخرى، فمع أن كِلا الطرفين قد يقع في أخطاء، إلا أن الضرر يختلف باختلاف الحال، ولا يُسوّى بينهما، فشتّان بين الأمرين.

فهرس المراجع والمصادر

١. **الاستغاثة في الرد على البكري**، مكتبة دار المنهاج – ط١.

٢. **بيان تلبس الجهمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٣. **جامع تراث العلامة الألباني – العقيدة**، مركز النعمان – اليمن.

٤. **حلية الأولياء**، مطبعة السعادة – مصر.

٥. **درء تعارض العقل والنقل**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ت: عبد الرحمن بن قاسم – ط١.

٧. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار عطاءات العلم.

٨. **السنة لابن أبي عاصم**، المكتب الإسلامي – ط١.

٩. **سنن الترمذي**، دار الغرب الإسلامي – ت: بشار.

١٠. **السنن الكبرى للنسائي**، مؤسسة الرسالة.

١١. **صحيح البخاري**، الطبعة السلطانية.

١٢. **صحيح مسلم**، الطبعة التركية.

١٣. **غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة**، دار الحرمين – القاهرة.

١٤. **فتاوى نور على الدرب لابن باز**، رئاسة الإفتاء في السعودية – ط١.

١٥. **فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي**، دار الفضيلة – ط٢.

١٦. **الفوائد العلمية من الدروس البازية**، دار الرسالة العالمية.

١٧. **قرة عيون السلفية بالأجوبة الجامية**، تقديم الشيخ صالح السحيمي.

١٨. **كتاب المحنة – رواية حنبل**، مركز الملك فيصل للبحوث، أروقة للنشر والتوزيع.

١٩. **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٠. **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**، دار الوطن – ط١.

٢١. **مختصر الصواعق المرسلة**، دار الحديث – القاهرة.

٢٢. **المغني لابن قدامة**، دار هجر – ت: عبد الله التركي.

٢٣. **الملخص في شرح كتاب التوحيد**، دار العاصمة.